Al-Adab Journal Vol. 68, No. 2, Supplement (June 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

Alienation in modern Iraqi literature

Asst. Lect. Sanaa Abdel Sakab
General Directorate of Education Baghdad/Al-Rusafa First
Sanaa.add.sqab@ec.edu.iq

Copyright (c) 2026 **Asst. Lect. Sanaa Abdel Sakab**

DOI: https://doi.org/10.31973/ze7bbv13

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The research titled Alienation in Modern Iraqi Literature by researcher Sanaa Abd Sakb examines the phenomenon of alienation as a prominent feature and an organic component of contemporary Iraqi literary production, both in poetry and narrative. The researcher proceeds from a fundamental hypothesis that alienation in the Iraqi experience was not an intellectual luxury or merely an imitation of Western schools. Rather, it was an inevitable and forced response to the harsh political and social conditions that stormed Iraq, ranging from successive wars and economic sanctions to the dominance of authoritarian regimes. These combined factors transformed alienation from a mere romantic theme expressing sorrow and loneliness into a comprehensive existential stance and a foundational structure revealing the fragmented identity crisis of the Iraqi individual.

The study rigorously reviews the concept, distinguishing between linguistic and terminological connotations. It differentiates alienation from related concepts such as normlessness, which implies the collapse of values guiding behavior; reification, which reduces humans to mere tools in a vast machine; and powerlessness, representing the loss of ability to influence reality. The study expands to cover two types of exile: internal exile, experienced by the individual within their homeland under the weight of oppression and fear, and external exile, suffered by migrants in the diaspora. In her conclusions, the researcher indicates that internal exile was more lethal to the human psyche, generating a complex sense of isolation and symbolic death, where the intellectual lives alienated amidst their family and a society with eroded values.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

On the artistic and analytical side, the study tracks the lexical and symbolic corpus that dominated alienation texts, noting the prevalence of vocabulary suggestive of darkness and nihilism, such as night, silence, coldness, death, and walls. The study also addresses the symbolism of place, where the city in alienation literature—whether the usurped Baghdad or the cold capitals of the diaspora—transformed into a space of imprisonment, loss, and the reification of human relations. Meanwhile, the Village remained in the writers' memory as a symbol of the lost paradise and the beautiful past that is impossible to retrieve. Furthermore, the researcher touches upon the image of the woman, which transcended its emotional dimension to become an objective equivalent for the homeland and the land; searching for her is a search for roots, and losing her means the loss of belonging.

The study concludes with findings that confirm the dominance of a pessimistic tendency in Iraqi literature during that era, where the alienated writer views death as potentially the only salvation from the absurdity and futility of reality. The researcher concludes her work with a set of recommendations calling for the continuation of this critical effort by studying the shifts in the concept of alienation in post-2003 literature, focusing on the specificity of alienation in Iraqi feminist literature, and conducting critical comparative studies between domestic and diaspora literature to gain a deeper understanding of the transformations of Iraqi identity.

Keywords: alienation, literature, poetry, narrative

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 2, Supplement (June 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الاغتراب في الأدب العراقي الحديث

م.م. سناء عبد صكب
المديرية العامة لتربية بغداد/ الرصافة الاولى

(مُلَخَّصُ البَحث)

يتناول هذا البحث ظاهرة الاغتراب بوصفها سمة بارزة ومكوناً عضوياً في نتاج الأدب العراقي المعاصر، بشقيه الشعري والسردي. تنطلق الباحثة من فرضية أساسية مفادها أن الاغتراب في التجربة العراقية لم يكن ترفاً فكرياً أو محض تقليد للمدارس الغربية، بل كان استجابة حتمية وقسرية للظروف السياسية والاجتماعية القاسية التي عصفت بالعراق، بدءاً من الحروب المتتالية والحصار الاقتصادي، وصولاً إلى هيمنة أنظمة الاستبداد. هذه العوامل مجتمعة حولت الاغتراب من مجرد ثيمة رومانسية تعبر عن الحزن والوحدة، إلى موقف وجودي شامل وبنية ارتكازية تكشف عن أزمة الهوية المتشظية للإنسان العراقي.

وتستعرض الدراسة المفهوم بدقة، مميزة بين الدلالات اللغوية والاصطلاحية، حيث تفرق بين الاغتراب ومفاهيم مقاربة مثل اللامعيارية التي تعني انهيار القيم الموجهة للسلوك، والتشيؤ الذي يحيل الإنسان إلى مجرد أداة في ماكينة ضخمة، فضلاً عن العجز الذي يمثل فقدان القدرة على التأثير في الواقع. وتتوسع الدراسة لتشمل نوعي المنفى: المنفى الداخلي الذي يعيشه الفرد داخل وطنه تحت وطأة القمع والخوف، والمنفى الخارجي الذي يعانيه المهاجرون في بلاد الشتات. وتشير الباحثة في استنتاجاتها إلى أن المنفى الداخلي كان أشد فتكاً بالنفس البشرية، إذ يولد شعوراً مركباً بالعزلة والموت الرمزي، حيث يعيش المثقف مغترباً وسط أهله ومجتمعه الذي تآكلت قيمه.

وفي الجانب الفني والتحليلي، ترصد الدراسة المعجم اللفظي والرمزي الذي طغى على نصوص الاغتراب، فتلاحظ سيطرة مفردات موحية بالسواد والعدمية مثل الليل، والصمت، والبرودة، والموت، والجدران. كما تتناول الدراسة رمزية المكان، حيث تحولت المدينة في أدب الاغتراب – سواء كانت بغداد المستلبة أو عواصم المهجر الباردة – إلى فضاء للسجن والضياع وتشيؤ العلاقات الإنسانية، في حين بقيت القرية في ذاكرة الأدباء رمزاً للفردوس المفقود وللزمن الجميل الذي يستحيل استعادته. كذلك، تتطرق الباحثة إلى صورة المرأة التي تجاوزت بعدها العاطفي لتصبح معادلاً موضوعياً للوطن والأرض؛ فالبحث عنها هو بحث عن الجذور، وفقدانها يعني ضياع الانتماء.

وتخلص الدراسة إلى نتائج تؤكد هيمنة النزعة التشاؤمية على الأدب العراقي في تلك الحقبة، حيث يرى الأديب المغترب أن الموت قد يكون الخلاص الوحيد من عبثية الواقع ولا جدواه. وتختتم الباحثة عملها بمجموعة من التوصيات التي تدعو إلى استكمال هذا الجهد النقدي عبر دراسة تحولات مفهوم الاغتراب في أدب ما بعد عام ٢٠٠٣، مع التركيز على خصوصية الاغتراب في الأدب النسوي العراقي، وإجراء مقاربات نقدية بين أدب الداخل وأدب المهجر لفهم أعمق لتحولات الهوية العراقية.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، الأدب، الشعر، السرد

المقدمة:

لم يكن الأدب العراقي المعاصر، في مختلف تجلياته الشعرية والسردية، بمنأى عن التحولات العاصفة التي شهدها العراق سياسيا واجتماعيا. لقد شكلت الحروب المتتالية، والحصار، وانظمة الاستبداد، وموجات النزوح والهجرة، بيئة خصبة لنمو ظاهرة الاغتراب وتجذرها في الوعي الجمعي للمثقف العراقي. فلم يعد الاغتراب مجرد تيمة رومانسية تعبر عن الشجن والوحدة، بل تحول الى بنية ارتكازية وموقف وجودي شامل يعكس ازمة الانسان العراقي في البحث عن هويته واستقراره وسط ركام الخراب.

يتناول هذا البحث دراسة الاغتراب في الأدب العراقي المعاصر، محاولا تتبع هذه الظاهرة في الشعر والرواية، وكيف تحولت النصوص الأدبية الى وثائق تاريخية تسجل انكسارات الروح العراقية، سواء لمن تجرعوا مرارة المنفى الداخلي تحت وطأة القمع والحروب، او لمن عانوا المنفى الخارجي وتشظي الهوية في بلاد المهجر.

أهمية البحث

يسلط الضوء على مدة زمنية حرجة من تاريخ العراق، كاشفا عن أثر الاضطرابات السياسية والاجتماعية في تشكيل البنية النفسية للأدب، مما يجعله دراسة في سوسيولوجيا الأدب بقدر ما هو دراسة نقدية جمالية.

إذ يبرز البحث كيف ادى شعور الأديب بالاغتراب الى تطوير أدوات فنية جديدة، مثل اللجوء إلى الرمز، والأسطورة (كما عند السياب)، وتوظيف المونولوج الداخلي وتيار الوعي في الرواية، للتعبير عن عوالم النفس المعقدة التي لا تستوعبها اللغة المباشرة.

كما تكمن قيمة البحث في جمعه بين دراسة الاغتراب داخل الوطن (القمع، الفقر، عدم المساواة) والاغتراب خارجه (الحنين، صدمة الحضارة، ضياع الهوية)، موضحا الخيط الرفيع الذي يربط بين عذابات البقاء وعذابات الرحيل.

أهداف البحث

١. تحديد مفهوم الاغتراب وتمييزه عن المفاهيم المقاربة كالغربة والعزلة، ضمن السياق الثقافي العراقي.

٢. تصنيف أنواع الاغتراب (السياسي، الاجتماعي، النفسي، الوجودي) وتحليل حضور كل نوع في النماذج الادبية المختارة (شعر نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، والرواية العراقية المهاجرة).

٣. استقراء الحقول الدلالية والألفاظ التي تشكل معجم الاغتراب في النصوص العراقية (الفاظ الليل، السكون، الموت، الجدار)، والكشف عن دلالاتها الرمزية والنفسية.

٤. توضيح العلاقة الجدلية بين فساد الواقع (السياسي والاجتماعي) وبين انكفاء المبدع واغترابه، وكيف يتحول الادب إلى آلية دفاعية لمقاومة المحو والنسيان.

أهم مصطلحات البحث

حدد هذا البحث المفاهيم والمصطلحات النقدية والسوسيولوجية التي تشكل الإطار النظري لفهم ظاهرة الاغتراب في الأدب العراقي، وفيما يلي تحديد دقيق لهذه المصطلحات:

١. الاغتراب: هو المصطلح المحوري في البحث، ويُقصد به تلك الحالة المركبة التي يعاني فيها الفرد من انفصال نفسي واجتماعي عن محيطه، وتتمثل في شعوره بالعجز عن تغيير الواقع الاجتماعي الذي يتفاعل معه، وفقدان القدرة على توجيه سلوكه ومعتقداته على وفق إرادته الحرة، مما يولد لديه إحساسا بالنفي والعزلة حتى وهو داخل وطنه. (صبري، ١٩٨٨، صفحة ١١٣)

٢. المنفى : يتجاوز هذا المصطلح في الأدب العراقي الدلالة الجغرافية للابتعاد عن الوطن، ليصبح دالا على حالة نفسية ووجودية. في الرواية العراقية المهاجرة، يُعرف المنفى بأنه الحيز الذي تتصادم فيه ذاكرة الوطن الحميمية مع واقع الغربة البارد، وهو الفضاء الذي يحاول فيه الكاتب ترميم هويته المتشظية عبر الكتابة، فيغدو المنفى وطنا بديلا لكنه مسكون بالقلق وعدم الاستقرار. (فاطمة، ١٩٩٧، صفحة ١٤٨)

٣. التشيؤ : مصطلح فلسفي واجتماعي يشير إلى عملية تحويل العلاقات الإنسانية الحية الى علاقات آلية بين اشياء، حيث يفقد الإنسان سماته البشرية والروحية ليصبح مجرد ترس في الة المجتمع الصناعي أو الاستهلاكي. وفي الادب، يظهر التشيؤ عبر شعور الشخصية بانها مستلبة الارادة، ومحاصرة بالمادة، مما يؤدي الى انحلال الانتماء الإنساني والشعور بالتبعية المطلقة لقوى خارجية. (سهيل، ٢٠٢٢، صفحة ٦١٢٣)

٤. اللامعيارية : تُعرف انها حالة انهيار المعايير والقيم الناظمة للسلوك في وعي الفرد، إذ يشعر بأن القيم السائدة في مجتمعه قد فقدت مصداقيتها او أنها زائفة لا تتناسب مع

طموحاته. يجد الفرد المغترب هنا صعوبة في تحقيق اهدافه بالطرق المشروعة اجتماعيا، مما يضعه في صراع دائم بين قيمه الذاتية وواقع المجتمع المتردي، ويدفعه غالبا الى التمرد او الانكفاء. (صبري، ١٩٨٨، صفحة ١١٣)

٥. الاغتراب الوجودي: هو أعمق درجات الاغتراب، يتعلق بموقف الإنسان من قضايا المصير الكبرى كالزمن والموت. يُعرف انه شعور الكائن البشري بعبثية الوجود ولا جدواه، واحساسه بالضياع في كون لا يبالي بمصيره. في الشعر العربي المعاصر، يرتبط هذا المصطلح بتجربة المدينة التي تلتهم عمر الإنسان، وتشعره بوطأة الزمن واقتراب الفناء دون تحقيق ذاته. (عبدو و وحابي، ٢٠١٣، صفحة ٧)

٦. الاغتراب الذاتي : يشير هذا المصطلح الى انفصال الفرد عن جوهره الحقيقي، وعن قدراته وامكاناته الابداعية. يحدث الاغتراب الذاتي عندما يضطر الانسان لارتداء اقنعة اجتماعية لارضاء الاخرين او مسايرة الانظمة القمعية، فيفقد الاتصال بمشاعره الصادقة ورغباته الدفينة، ويتحول الى غريب عن نفسه، غير قادر على التعرف على هويته الحقيقية. (سهيل، ٢٠٢٢، صفحة ٦١٢٣)

المبحث الأول

الاغتراب لغة واصطلاحا :

يُشتق مصطلح الاغتراب في المعجم العربي من الجذر اللغوي (غ ر ب)، الذي تتفرع عنه دلالات متعددة تصب في معاني البعد والنزوح والمفارقة. ففي لسان العرب، يُقال غرب بمعنى ذهب وتنحّى، والغربة هي النزوح عن الوطن والأهل. واللافت أن الجذر اللغوي يجمع بين البعد المكاني (الغربة) وبين الغموض والغرابة (اغرب الرجل إذا أتى بشيء غير مألوف). هذا التداخل اللغوي يؤسس المعنى الوجودي للاغتراب؛ فالابتعاد عن المحيط المألوف يولد شعورا بالوحشة، مما يجعل مفردة الاغتراب في العربية تحمل شحنة نفسية وعاطفية منذ نشأتها، تشير إلى انسلاخ الكائن عن جذوره ومحيطه الطبيعي. (عبد الحسن وعبد الحسن، ٢٠٢٤، صفحة ١٣٦٠)

كما نجد ان مصطلحات مثل التغريب تحمل معنى النفي والإبعاد القسري عن البلد، وهو عقوبة تهدف إلى عزل الفرد اجتماعيا ومكانيا ،. وتشير لفظة الغرب بفتح الغين الى التنحي والابتعاد، مما يشير الى مسافة فاصلة بين الذات والآخر. كما أن الغرب هو الذهاب والتواري، كغروب الشمس، مما يوحي بالنهاية أو الاختفاء. هذه المعاني المتضافرة تجعل من الاغتراب لغويا حالة من الانفصال، سواء كان اختياريا بحثا عن المجهول، أو قسريا بفعل النفي، وهو ما يمهد لفهم المصطلح في سياقاته النفسية المعقدة. (بخليلي، ٢٠٢٤، صفحة ١٦١)

كما يرتبط المعنى اللغوي للاغتراب بمفهوم النزوح الذي يولد الحنين. فالغريب هو البعيد عن وطنه، وهذا البعد يحرك كوامن النفس و توقها للعودة. الا ان اللغة تفرق ضمنيا بين الغربة التي قد تكون مؤقتة ومرتبطة بالمكان، وبين الاغتراب الذي يحمل صيغة الافتِعال الدالة على المبالغة والتحول الداخلي. فالمغترب لغويا ليس مجرد مسافر، بل هو شخص يعيش حالة من التحول في علاقاته مع محيطه، وقد يصبح غريبا حتى وهو بين اهله اذا اختلفت الطباع والمشارب، مما يجعل اللغة وعاءً حاضنا للمعنى الاصطلاحي الفلسفي الذي تبلور لاحقا. (التميمي، ٢٠١٦، صفحة ١٧)

الاغتراب اصطلاحا:

اصطلاحا، يُعرف الاغتراب بانه حالة مركبة من الانفصال النفسي والاجتماعي، تتجلى في شعور الفرد بالعجز (Powerlessness) وعدم القدرة على التأثير في مجريات الاحداث التي تحيط به. يتطور هذا المفهوم ليشمل اللامعيارية (Normlessness)، حيث تنهار القيم التي يؤمن بها الفرد أمام قيم مجتمعية سائدة يراها زائفة او غير عادلة، فيفقد المعايير التي توجه سلوكه. هنا، لا يعود الاغتراب مجرد عزلة فيزيائية، بل يصبح عزلة شعورية تجعل الفرد غريبا وسط جماعته، فاقدا للهدف، وغير قادر على التواصل الفعال، مما يدفعه اما الى الانكفاء المرضي على الذات أو التمرد العنيف على الواقع. (صبري، ١٩٨٨، صفحة ١١٣)

وفي الفلسفات الحديثة وعلم الاجتماع، يتخذ الاغتراب بعدا اكثر عمقا بارتباطه بطبيعة الحياة المعاصرة والأنظمة الصناعية والرأسمالية. يُنظر إليه بوصفه عملية تشيؤ (Reification) للانسان، حيث يتحول الفرد الى ترس في الة ضخمة، ويفقد السيطرة على نتاج عمله ومصيره، مما يؤدي الى انحلال الانتماء الانساني. في هذا السياق، يعيش الفرد حالة من القلق الوجودي والشعور بالتبعية، فيحس بانه مُسيّر بقوى خارجية غامضة لا يملك فك رموزها، وهو ما يُعرف بـ الاغتراب الذاتي حيث يغدو الانسان غريبا عن جوهره الحقيقي، وعاجزا عن تحقيق إمكاناته الإبداعية. (سهيل، ٢٠٢٢، الصفحات ٦١٢٣-٦١٢٤)

ويكتسب الاغتراب في الدراسات الأدبية والنقدية العربية خصوصية نابعة من تحولات الواقع العربي؛ فهو لا يُدرس كمفهوم مجرد، بل كتعبير عن ازمة المثقف العربي في مواجهة واقعه المأزوم. يُعرّف الاغتراب هنا بأنه شعور المبدع بالهوة السحيقة بين طموحاته المثالية وواقعه المتردي، مما يولد لديه إحساسا بالنفي النفسي داخل وطنه. هذا النوع من الاغتراب يدفع الأديب – كالشاعر بدر شاكر السياب مثلا – إلى البحث عن يوتوبيا مفقودة أو الهروب نحو الرمز والأسطورة، فالاغتراب يصبح موقفا رفضيا للواقع، ومحاولة للبحث عن خلاص فردي في ظل انعدام الحلول الجماعية. (عبدو و وحابي، ٢٠١٣، الصفحات ٩-١٠)

وفي سياق الأدب العراقي تحديدا، وتحديدا في الرواية التي نشأت في المنافي، يتداخل مفهوم الاغتراب مع مفهوم المنفى. فالكاتب العراقي المهاجر يعيش الاغتراب كتجربة مزدوجة: غربة المكان وفقدان الوطن، وغربة الزمان المتمثلة في العيش بذاكرة الماضي. هنا يتحول الاغتراب الى اداة فنية ورؤية للعالم، حيث تعكس الشخصيات الروائية حالة التمزق وعدم الاستقرار النفسي والمعيشي. الرواية العراقية المهاجرة تقدم تعريفا اجرائيا للاغتراب بوصفه محاولة مستمرة وفاشلة غالبا لترميم الهوية المتشظية، ومواجهة مشاعر الفقد واللاجدوى التي تسيطر على الإنسان المقتلع من جذوره. (فاطمة، ١٩٩٧، صفحة ١٤٨)

المبحث الثاني

الاغتراب في الأدب: أنواعه، ودلالاته، ومعجمه اللفظي

يعد الاغتراب من أكثر الظواهر الأدبية تعقيدا وحضورا في الأدب العربي عامة، والعراقي خاصة، إذ لم يعد مجرد موضوع عابر تتناوله النصوص، بل تحول الى بنية ارتكازية تشكل رؤية الأديب للعالم. يتجاوز الاغتراب في الأدب المفهوم السطحي للابتعاد عن الأوطان، ليغدو فلسفة حياة تعكس أزمة الإنسان المعاصر في مواجهة ذاته ومحيطه. ينقسم هذا المبحث الى محاور رئيسة تتناول أنواع الاغتراب (السياسي، الاجتماعي، النفسي، الوجودي)، وأهم الموضوعات التي يتجلى فيها، فضلا عن الحقول الدلالية والألفاظ التي تشكل معجم الاغتراب في النصوص الأدبية.

أنواع الاغتراب في الأدب

١. الاغتراب الاجتماعي

يبرز الاغتراب الاجتماعي كأحد أهم الأنواع التي رصدها النقد الأدبي، إذ يعاني الفرد من انقطاع الصلة بمجتمعه ومعاييره. تتجلى هذه الحالة في شعور الاديب او الشخصية الروائية بـ اللامعيارية ، وهي حالة تنهار فيها القواعد المنظمة للسلوك، فيشعر الفرد بأن القيم السائدة زائفة أو لا تمثله. في الرواية العراقية، غالبا ما يظهر البطل المغترب اجتماعيا كشخصية متمردة ترفض الامتثال لقوانين القطيع، مما يدفعه الى العزلة الاختيارية والاجبارية. هذا النوع من الاغتراب ينشأ من عدم قدرة الفرد على التكيف مع التحولات الطبقية أو القيمية في المجتمع، مما يجعله غريبا وسط اهله وناسه، فاقدا للقدرة على التواصل الحقيقي، وهو ما يعزز شعوره بالوحدة القاتلة رغم وجوده في الزحام. (صبري، ١٩٨٨، صفحة ١١٤)

ويتخذ الاغتراب الاجتماعي في الشعر ابعادا أعمق ترتبط برفض التشيؤ ، إذ تتحول العلاقات الانسانية في ظل المجتمعات المادية الاستهلاكية إلى علاقات نفعية، ويفقد الإنسان قيمته الجوهرية ليصبح مجرد رقم او وسيلة. يصور الشعراء هذا النوع من الاغتراب عبر إظهار الإنسان المعاصر محاصرا بأشياء مادية تخنقه، إذ تسيطر الآلة والمادة على الروح، مما يؤدي الى انحلال الانتماء الإنساني. هنا، لا يعود الاغتراب مجرد عزلة عن الناس، بل هو شعور عميق بأن المجتمع لم يعد بيئة صالحة للنمو الإنساني السليم، مما يدفع الشاعر الى البحث عن عالم بديل، غالبا ما يكون في الذاكرة أو الحلم. (سهيل، ٢٠٢٢، صفحة ٦١٢٣)

٢. الاغتراب السياسي:

يرتبط الاغتراب السياسي ارتباطا وثيقا بانظمة الحكم والبيئة السياسية القمعية، وهو سمة بارزة في الأدب العراقي والعربي نتيجة لعقود من الاستبداد والحروب. يتولد هذا النوع من الاغتراب عندما يشعر الفرد بـ العجز وعدم القدرة على التأثير في القرارات التي تمس مصيره. في المسرح والرواية، تظهر شخصيات تعيش تحت وطأة الخوف والمراقبة، مما يدفعها الى الانسحاب من الحياة العامة أو الهجرة. الاغتراب السياسي لا يعني فقط معارضة السلطة، بل يشمل الشعور بأن الوطن قد تم اختطافه، وان المواطن أصبح لاجئا داخل وطنه، مجردا من حقوقه الاساسية في التعبير والحياة الكريمة، وهو ما يخلق فجوة نفسية هائلة بين المواطن والدولة. (خمان، ٢٠٢٥، صفحة ٣٢٩)

وفي سياق الرواية، يتفاقم الاغتراب السياسي ليتحول الى اغتراب مكاني عبر المنفى. فالكاتب العراقي الذي اضطرته الظروف السياسية للمغادرة، يعيش حالة من التمزق بين زمنين ومكانين. يصبح المنفى هو الفضاء الذي يمارس فيه الكاتب حريته المفقودة، لكنه يظل فضاءً باردا وموحشا مقارنة بدفء الوطن المستحيل. ان الرواية العراقية في الخارج وثقت ببراعة كيف يتحول السياسي إلى وجودي؛ فالمهاجر لا يهرب فقط من نظام سياسي، بل يهرب من تاريخ كامل من القمع، ليصطدم في المهجر باسئلة الهوية والاندماج، مما يجعله يعيش غربة مضاعفة. (فاطمة، ١٩٩٧، صفحة ١٤٨)

٣. الاغتراب النفسي والوجودي :

يتجاوز الاغتراب النفسي الظروف الخارجية لينغرس في اعماق الذات، إذ يعاني الفرد من انفصال عن ذاته الحقيقية (Self–Estrangement). يحدث هذا عندما يضطر الانسان لارتداء اقنعة اجتماعية لإرضاء الآخرين، فيفقد الاتصال برغباته ومشاعره الصادقة. في شعر نازك الملائكة، يظهر هذا الاغتراب بوضوح من خلال الحساسية المفرطة تجاه الوجود، والشعور بالتفرد الذي يؤدي الى العزلة. الشاعر المغترب نفسيا يرى نفسه مختلفا في

تكوينه الروحي عن الآخرين، مما يولد لديه شعورا بالاستعلاء الممزوج بالألم، حيث لا يجد من يفهمه أو يشاركه رؤيته للعالم. (التميمي، ٢٠١٦، صفحة ١٧)

أما الاغتراب الوجودي، فيمثل قمة الهرم في أنواع الاغتراب، إذ يتعلق بموقف الإنسان من قضايا المصير الكبرى: الموت، الزمن، والعدم. يواجه الأديب حقيقة فنائه ومحدودية قدراته أمام سطوة الزمن، فيشعر بعبثية الوجود ولا جدواه. في الشعر الحديث، كثيرا ما يتم ربط الاغتراب الوجودي بتجربة المدينة التي تلتهم عمر الإنسان دون رحمة. يشعر الشاعر بأنه ملقى به في عالم لا يكترث لمصيره، فيلجأ إلى الأسئلة الفلسفية الكبرى حول جدوى الحياة، وغالبا ما تنتهي هذه التساؤلات بمزيد من الحيرة والقلق، وتجعل من الموت هاجسا دائما يلوون النصوص بالسواد. (عبدو و وحابي، ٢٠١٣، صفحة ٧)

٤. الاغتراب المكاني :

يمثل الوصول إلى الوطن البديل (أوروبا أو المنافي الأخرى) مرحلة من "الاستقرار النسبي" على المستوى المعيشي والأمني، إلا أن هذا الاستقرار غالباً ما يكشف عن فجوة نفسية عميقة. تشير الناقدة فاطمة المحسن في دراستها عن الرواية العراقية، إلى أن استقرار الكاتب العراقي المهاجر في التسعينيات أفرز نتاجاً روائياً غزيراً، لكن هذا النتاج كشف أن "المنفى" لم يتحول إلى وطن حقيقي، بل ظل حيزاً مؤقتاً ومحطة انتظار. فالرواية العراقية في الخارج وثقت حالة التمزق، حيث يعيش الكاتب بجسده في المهجر، بينما تظل روحه معلقة بذاكرة الوطن الأول، مما يجعل الوطن البديل مكاناً بارداً ومحايداً لا يمنح شعوراً بالانتماء، بل يعمق الإحساس بالعزلة. (فاطمة، ١٩٩٧، صفحة ١٤٩)

ففي الوطن البديل، يواجه المغترب نوعاً قاسياً من "الاغتراب الاجتماعي" فالمجتمعات الغربية أو الحديثة التي يلجأ إليها، غالباً ما تكون محكومة بنظم رأسمالية وعلاقات مادية صارمة تحول الإنسان إلى "رقم" أو "ترس" في آلة ضخمة. يجد المغترب نفسه محاصراً بقيم مغايرة لقيمه الأصيلة، مما يولد لديه شعوراً بـ "انحلال الانتماء الإنساني". يصف الباحثان حمدان والفتياني هذه الحالة عند الحديث عن اغتراب الإنسان المعاصر، إذ يغدو الفرد "كائناً مستلباً فاقداً لفعاليته"، عاجزاً عن التواصل الحميمي الذي اعتاده في وطنه الأم، فيتحول الوطن البديل إلى سجن واسع تتوفر فيه الرفاهية وتغيب فيه الروح. (سهيل، ٢٠٢٢، الصفحات ٦١٢٣-٦١٢٤)

أمام فشل المهجر الجغرافي في تعويض دفء الوطن المفقود، يلجأ المغترب إلى "الذاكرة" لتكون هي الوطن البديل الحقيقي. يصبح الماضي هو الملاذ الآمن الذي يهرب إليه الأديب من قسوة الحاضر. في الرواية العراقية، نجد أن "المنفى" هو الفضاء الذي تتصادم فيه الرغبات؛ رغبة الاندماج المستحيل، ورغبة العودة المستحيلة. لذا، يقوم الروائي بإعادة

هندسة المكان الأول (بغداد مثلاً) عبر الكتابة، فيعيش في "وطن ورقي" يبنيه من ذكرياته وأحلامه. الكتابة هنا ليست ترفاً، بل هي محاولة لترميم الذات المتشظية في بلاد الغربة، ومقاومة لمحو الهوية الذي يهدده به الوطن البديل. (فاطمة، ١٩٩٧، الصفحات ١٤٨–١٤٩)

وحين يضيق الوطن البديل بالمغترب، ولا يجد فيه من يفهم لغته أو يشاركه هواجسه، ينكفئ على ذاته فيما يسمى بـ "الاغتراب النفسي". يتحول "الليل" أو "الصمت" إلى وطن بديل يلوذ به المبدع. ففي دراسة عن نازك الملائكة، يظهر كيف أن الشاعر المغترب (سواء داخل وطنه أو خارجه) يرى في الليل ستراً ووطناً يحتوي أحزانه التي لا يتسع لها ضجيج النهار في المدن الغريبة. هذه العزلة الاختيارية هي رد فعل دفاعي ضد عالم خارجي يرفض المغترب ويرفضه المغترب في آن واحد. (التميمي، ٢٠١٦، صفحة ١٧)

نستنتج مما سبق أن "الوطن البديل" في الأدب العراقي يظل مفهوماً ملتبساً. فهو موجود مادياً (المهجر)، لكنه غائب شعورياً. إن الاغتراب في الوطن البديل هو "اغتراب مضاعف"؛ لأنه يجرد الإنسان من وهم "أن هناك مكاناً آخر أفضل". وكما يشير صبري مسلم في تحليله لشخصية البطل المغترب، فإن فقدان المعايير والشعور بالعجز يلاحق المغترب أينما حل، مما يجعل البحث عن وطن بديل رحلة داخلية لا تنتهي إلا بالتصالح مع الذات أو بالموت، حيث يظل الوطن الأول هو "الفردوس المفقود" الذي لا يعوضه أي بديل. (صبري، ١٩٨٨، صفحة ١١٥)

موضوعات الاغتراب ودلالاته في النص الأدبي

١. المدينة كفضاء للاغتراب

شكلت المدينة موضوعا مركزيا في أدب الاغتراب، إذ تحولت من رمز للحضارة الى رمز للسجن والضياع. في الشعر العراقي، ولا سيما عند السياب، تظهر المدينة (بغداد أو مدن الغربة) كوحش صخري بلا قلب، تقتل البراءة وتدمر القيم الانسانية. يقابل الشاعر بين المدينة والقرية (جيكور مثلا)، حيث تمثل القرية الفردوس المفقود والبراءة والطهارة، بينما تمثل المدينة الاغتراب والمادة والزيف. المدينة في أدب الاغتراب هي فضاء الزحام الذي يعمق الشعور بالوحدة، وهي المتاهة التي تبتلع الفرد وتجرده من ملامحه الإنسانية، جاعلة منه ترسا في عجلة الاقتصاد. (عبد الحسن و عبد الحسن، ٢٠٢٤، صفحة ١٣٦١)

٢. الزمن والذاكرة

يعد الزمن العدو الأول للمغترب؛ فهو يذكره دائما بالفناء وبالبعد عن الماضي الجميل. يعالج الأدباء موضوع الزمن من خلال الهروب الى الذاكرة كآلية دفاعية لمواجهة قسوة الحاضر. في شعر ابن الشاطئ وغيره من الشعراء الذين عاشوا تجربة الشتات، يصبح الزمن

ثقيلا وراكدًا في المنفى، بينما يتحول الماضي إلى ملاذ آمن. الاغتراب الزمني يعني عدم القدرة على التعايش مع اللحظة الراهنة، والعيش الدائم في استرجاع الذكريات، مما يولد الما نبيلا يُعرف بـ الحنين، الذي هو في جوهره رفض للواقع الحالي ومحاولة لاستعادة زمن مفقود لن يعود. (قحام، ٢٠٢٤، صفحة ١٦١)

٣. المراة:

تحضر المرأة في أدب الاغتراب بصورتين متناقضتين: فهي إما الملاذ والوطن البديل الذي يبحث عنه المغترب ليستمد منه الدفء والأمان، وإما أنها تعمق جراحه لكونها جزءا من الواقع الذي يرفضه، او لكون الوصول إليها مستحيلا. في كثير من النصوص، تتماهى صورة المرأة مع صورة الوطن او الارض، فيصبح العشق نوعا من التعويض عن فقدان الجذور. الا ان فشل العلاقات العاطفية في أدب الاغتراب غالبا ما يكون رمزا لفشل المغترب في التصالح مع واقعه، مما يضاعف من عزلته ويدفعه إلى مزيد من الانكفاء. (سهيل، ٢٠٢٢، صفحة ٦١٤٠)

المعجم اللفظي ودلالات الألفاظ في أدب الاغتراب

تتميز نصوص الاغتراب بمعجم لغوي خاص يشي بالحالة النفسية للمبدع، إذ تتكرر ألفاظ بعينها لتشكل حقلا دلاليا للحزن والوحدة.

١. ألفاظ الظلام والسكون

يكثر في أدب الاغتراب استخدام الفاظ متعلقة بالليل والظلمة، مثل: (الليل، الدجى، السواد، العتمة، الغروب). يمثل الليل الوعاء الزمني الذي يستيقظ فيه وحش الاغتراب، حيث يخلو الإنسان بنفسه وتهاجمه الذكريات. كما تتواتر الفاظ السكون والصمت، التي لا تعني الهدوء والراحة، بل تعني الموت وانقطاع التواصل والحياة. فالصمت في قصائد نازك الملائكة، مثلا، يعبر عن العجز عن الكلام في عالم لا يسمع، ويتحول الى جدار عازل يفصل الذات عن الآخرين. (التميمي، ٢٠١٦، صفحة ٥٩)

٢. ألفاظ المكان والحدود

يحتشد المعجم الشعري والروائي بألفاظ تدل على الانحصار والضيق والبعد، مثل: (الجدار، السور، السجن، القبر، المنفى، الصحراء، البحر). الجدار والسور يرمزان الى العوائق التي تحول دون حرية الفرد وانطلاقه، بينما يرمز البحر والصحراء الى التيه والضياع واللانهاية المخيفة. في الرواية العراقية، كثيرا ما يتم استخدام مفردات الأماكن المغلقة والموحشة للتعبير عن حالة الاختناق السياسي والاجتماعي التي تعيشها الشخصيات، حيث تغدو الامكنة مرايا تعكس الخراب الداخلي للنفوس. (صبري، ١٩٨٨، صفحة ١١٥)

٣. ألفاظ البرودة والموت

تعبيراً عن فقدان الدفء الإنساني، يلجأ الادباء إلى معجم البرودة، مستخدمين كلمات مثل: (الثلج، الصقيع، الشتاء، البرد، التجمد). هذه الألفاظ لا تصف الطقس بقدر ما تصف برودة العلاقات والمشاعر في المنافي أو المدن الحديثة. وترتبط هذه الألفاظ ارتباطا عضويا بمعجم الموت والفناء، مثل: (اللحود، الأكفان، الردى، الدم، القتيل). فالاغتراب في جوهره هو نوع من الموت البطيء، وتكرار هذه المفردات يؤكد النزعة التشاؤمية والرؤية السوداوية التي تسيطر على المبدع المغترب، الذي يرى في الموت الخلاص الوحيد من عبثية الحياة. (عبدو و وحابي، ٢٠١٣، صفحة ٢٧)

٤. الفاظ الغربة والحنين

أخيراً، يشكل معجم الحنين ركيزة اساسية، إذ نجد تكرارا لمفردات: (الذكرى، الدموع، البكاء، الأطلال، العودة، السفينة، المرفأ). هذه الالفاظ ترسم مشهد الوداع المستمر، وتعبر عن رغبة دفينة في العودة إلى رحم البدايات. السفينة والمرفأ والقطار هي رموز للرحيل وعدم الاستقرار، وتؤكد صفة اللاانتماء التي تلازم المغترب، الذي يظل مسافرا حتى وان استقر به المقام، حاملا حقائب ذاكرته المثقلة بالوجع أينما حل. (قحام، ٢٠٢٤، صفحة ١٦٥)

الإغتراب في الوطن البديل: بين برودة المهجر ودفء الذاكرة

يشكل "الوطن البديل" أو "المهجر" في الأدب العراقي والعربي المعاصر إشكالية وجودية معقدة؛ فهو ليس مجرد رقعة جغرافية يلجأ إليها المثقف هرباً من القمع أو الحروب، بل هو فضاء جديد للاغتراب يعيد تشكيل أزمة الهوية. فالمهاجر الذي يغادر وطنه الأول بحثاً عن الأمان والحرية، غالباً ما يصطدم في الوطن البديل بنوع آخر من الاغتراب، يتمثل في "غربة الروح" وصراع الذاكرة مع الواقع الجديد.

يُمثل الاغتراب في الأدب العراقي الحديث ظاهرة مركبة تتجاوز المفهوم التقليدي للابتعاد الجغرافي، لتصبح حالة وجودية شاملة تعكس أزمة الإنسان العراقي في مواجهة تحولات سياسية واجتماعية عاصفة. لم يكن خروج الأديب العراقي من وطنه مجرد انتقال من مكان إلى آخر، بل كان اقتلاعاً جذرياً أدى إلى تشظي الهوية ومحاولة إعادة بنائها في فضاءات بديلة (المنافي)، مع بقاء الذاكرة مشدودة بحبال متينة إلى "المكان الأول".

فبالامكان الاشارة للاغتراب بأنه ظاهرة إنسانية نابعة من الذات، تحدد مدى التنافر بين الإنسان وواقعه. وفي الحالة العراقية، تضافرت عوامل "الخوف" و"القمع" و"الحروب" لتحويل الاغتراب النفسي (الداخلي) إلى اغتراب مكاني (خارجي). يرى الباحثون أن الاغتراب ظاهرة بشرية متأصلة، مركزها الذات الإنسانية، وهي في حركة مستمرة تتغذى من الظروف المحيطة. بالنسبة للأديب العراقي، أصبح الاغتراب "بنية" تتحكم في إنتاجه الفني، حيث

يشكل المنفى حاجزاً يعيق التواصل الطبيعي، لكنه في الوقت ذاته يحفز الذاكرة الإبداعية (عبد الحسن وعبد الحسن، ٢٠٢٤، ص ١٣٥٧).يمكن تقسيم الاغتراب في التجربة العراقية على مستويين متداخلين:

١. شعور الفرد بالعزلة واللامعنى حتى داخل وطنه، نتيجة لفقدان المعايير أو سيادة قيم مرفوضة.

٢. الابتعاد الجسدي عن الوطن، وما يرافقه من حنين (نوستالجيا) ومحاولة للتكيف مع بيئات ثقافية مغايرة.

فكان الشعر العراقي، ولا سيما شعر الرواد، المرآة الأولى التي عكست تشظي الروح العراقية. وقد تجلى ذلك بوضوح في تجربتي نازك الملائكة وبدر شاكر السياب.

فتُعد تجربة الشاعرة نازك الملائكة نموذجاً للاغتراب المركب الذي يجمع بين الغربة النفسية والمكانية. فعلى الرغم من انتمائها لطبقة مثقفة وميسورة، إلا أنها عاشت "اغتراباً اجتماعياً" حاداً جعلها تنفر من الحياة الاجتماعية التقليدية وتلجأ إلى العزلة. أثناء بعثتها الدراسية في الولايات المتحدة (في برنستون وويسكونسن)، تحول هذا الشعور إلى اغتراب مكاني صريح. في قصيدتها "الهاربون" (١٩٥١)، تصور نازك حالة الطلبة المغتربين ليس كباحثين عن العلم، بل كهاربين من ذواتهم ومن ماضيهم. تقول: "ونسمع من جنبات المسالك ذات مساء / صدى هامساً في الدجى إننا.. إننا جبناء... / ومن أننا لم نزل غرباء" (التميمي، ٢٠١٦، ص ٤٢) يتجلى في شعرها ملمحان أساسيان للاغتراب:

- إذ يصبح الماضي والوطن ملاذاً آمناً في مواجهة "وحشة" الغرب. تعبر عن ذلك بمناجاة "الذكرى" أو "العود" الذي يذكرها بليالي بغداد.
- الغربة عندها ليست فضاءً للاكتشاف، بل هي "دجى" و"صمت" يعمق الشعور بالعدم. تقول في وصف مشاعرها بالغربة: *"يا مساء الصيف الحزين... تبرمت بالسكون و بالأشباح"*(التميمي، ٢٠١٦، ص ٤٣)

لقد حاولت نازك التغلب على هذا الاغتراب عبر "اليوتوبيا" (المدينة الفاضلة)، فأنشأت في شعرها مدناً خيالية (مثل "يوتوبيا الضائعة") لتهرب إليها من واقعها المغترب، سواء في العراق أو في أمريكا، لكن هذه المدن ظلت ملاذات هشة لم تصمد أمام قسوة الواقع (التميمي، ٢٠١٦، ص ١٥٥).

ويمثل السياب "أيقونة" الاغتراب في الشعر العربي الحديث. اجتمع في تجربته: اليتم (فقد الأم)، الفقر، المرض، والنفي السياسي. تحولت قريته "جيكور" في شعره إلى رمز لـ "الفردوس المفقود"، المكان الذي تنعدم فيه الغربة. ومع خروجه من العراق قسراً (إلى الكويت، ثم رحلاته العلاجية إلى لندن وباريس)، أصبح شعره أنيناً متواصلاً وحنيناً جارفاً

للأرض. في قصائده الأخيرة التي كتبها في لندن، يصل الاغتراب إلى ذروته التراجيدية. لم يعد الاغتراب مجرد بعد عن المكان، بل أصبح مواجهة وحيدة مع الموت. يصرخ السياب مناجياً العراق: *"صوت تفجر في قرارة روحي الثكلى: عراق / كالمد يصعد، كالسحابة، كالدموع"* في دراسة حول "الاغتراب في شعر السياب"، يُشار إلى أن غربته كانت "غربة الروح والجسد معاً". لقد شعر بأن العالم كله "منفى" بعد فقدان حضن الأم وحضن الوطن، مما دفعه لتوظيف الأساطير (تموز، عشتار) ليرمم هذا الانكسار، لكن الصوت الإنساني المتألم ظل هو الأعلى في نصوصه الأخيرة (عبدو وحابي، ٢٠١٣، ص ١-٣).

فيُطلق مصطلح "الرواية العراقية المهاجرة" على الأعمال التي كتبها روائيون عراقيون غادروا بلادهم واستقروا في المنافي (أوروبا، أمريكا، دول الجوار). تميزت هذه الروايات بمحاولتها الإجابة عن أسئلة المصير: لماذا حدث ما حدث؟ وكيف نعيش الآن؟ تشير الناقدة فاطمة المحسن إلى أن الرواية أصبحت في التسعينيات وسيلة التعبير الأهم للمثقف العراقي المغترب، متفوقة أحياناً على الشعر، لأنها تتيح مساحة أكبر لسرد التفاصيل وتوثيق الذاكرة المهددة بالمحو (المحسن، ١٩٩٧، ص ١٤٨).

ويُعد غائب طعمة فرمان الأب الشرعي للرواية العراقية في الخارج. عاش في موسكو لأكثر من ثلاثين عاماً، لكنه لم يكتب إلا عن بغداد وأزقتها وحاراتها الشعبية. في رواياته (مثل "النخلة والجيران" ١٩٦٤، و"المركب" ١٩٨٩)، مارس فرمان ما يمكن تسميته بـ "استعادة المكان بالكلمات". كان يكتب ليعيش في بغداد افتراضياً. تميزت تجربته بالدقة في رصد التحولات الاجتماعية والتاريخية للعراق، وكأنه يخشى أن تفوته لحظة من تاريخ وطنه وهو بعيد عنه. تقول المحسن: "كانت تجربته الروائية تنظر إلى الماضي بتسلسل حقبه التاريخية"، محاولاً فهم الحاضر المؤلم عبر تشريح الماضي (المحسن، ١٩٩٧، ص ١٤٩).

ومع جيل التسعينيات وما تلاه، ظهر نوع جديد من كتابة المنفى. لم يعد الكاتب يكتفي بالحنين (النوستالجيا)، بل بدأ يكتب عن "تجربة المنفى" ذاتها. برزت روايات تعالج موضوع "صدمة المكان الجديد" وإشكالية الهوية المزدوجة. من النماذج المهمة رواية "امرأة القارورة" لسليم كامل مطر، التي طرحت فكرة جريئة هي "التوطن في المنفى" أو البحث عن جذور مشتركة للإنسانية، متجاوزة فكرة العودة الفيزيائية المستحيلة. يمزج هذا النوع من الروايات بين الواقعية والفانتازيا (الواقعية السحرية) للتعبير عن غرائبية تجربة العراقي الذي وجد نفسه فجأة في قلب أوروبا الباردة (المحسن، ١٩٩٧، ص ١٥١-١٥٢).

كم تقدم روايات علي الحديثي منظوراً آخر للاغتراب، حيث تظهر الشخصيات وهي تعاني الاغتراب حتى قبل أن تغادر الوطن. إن القمع السياسي والظروف الاقتصادية تخلق "منفى داخلياً" يمهد للمنفى الخارجي. تُظهر الدراسات النقدية لأعمال الحديثي أن الاغتراب

عنده ليس حالة طارئة، بل هو صيرورة مستمرة. شخصياته تحمل غربتها معها أينما حلت. هذا الاغتراب له دلالات متعددة: سياسية (بسبب السلطة)، واجتماعية (بسبب تفكك الروابط)، ومكانية (بسبب الهجرة). ويُحسب للحديثي أنه رصد الآثار النفسية العميقة لهذا الاغتراب على بنية الشخصية العراقية، التي أصبحت تعيش "انفصالاً" دائمًا عن واقعها (عبد الحسن وعبد الحسن، ٢٠٢٤، ص ١٣٥٧–١٣٥٨). فقد أفرزت تجربة الاغتراب في الأدب العراقي مجموعة من الخصائص والإشكاليات الفنية والموضوعية:

١. **العودة للوطن المتخيل:** مع طوال أمد الغربة، يبدأ "الوطن الواقعي" بالتلاشي في ذاكرة الكاتب، ليحل محله "وطن متخيل". يصبح العراق في الرواية والقصيدة مكاناً مثالياً أو أسطورياً، لا يشبه العراق الحقيقي الموجود على الخريطة. هذا "الوطن الورقي" هو ما يعيش فيه الكاتب المهاجر، وهو ما يحاول حمايته من التشويه. تشير الدراسات إلى أن "تضاريس الوطن الحقيقية تغيم لتحل محلها تضاريس متوهمة"، مما يجعل النص الأدبي وثيقة نفسية أكثر منه وثيقة واقعية (المحسن، ١٩٩٧، ص ١٥١).

٢. **المكان المعادي (المنفى):** غالباً ما يُرسم مكان المنفى (المدينة الغربية) بألوان باردة وموحشة. إنه مكان يفتقر إلى "الحميمية". في شعر نازك، هو مكان للأشباح والصمت. وفي روايات المنفى، هو متاهة من الإجراءات البيروقراطية والبرودة الاجتماعية. هذا التضاد بين "دفء الوطن المتخيل" و"برودة المنفى الواقعي" هو المحرك الأساسي للصراع الدرامي في النص (التميمي، ٢٠١٦، ص ٤٣).

٣. **تشظي الهوية:** يطرح أدب الاغتراب سؤالاً جوهرياً: من أنا؟ هل أنا العراقي الذي كان؟ أم أنا اللاجئ الذي يحمل رقماً؟ تعكس النصوص حيرة الكاتب بين الرغبة في الاندماج في المجتمع الجديد وبين الخوف من فقدان الجذور (الذوبان).

٤. **الخصائص الأسلوبية:** مالت لغة أدب الاغتراب العراقي إلى الشجن، واستخدام الرموز، والمناجاة (المونولوج الداخلي). في الشعر، سيطرت نغمة الحزن والرثاء للذات وللوطن. وفي السرد، كثر استخدام تقنيات تكسير الزمن (الاسترجاع/الفلاش باك) للربط بين "هنا" (المنفى) و"هناك" (الوطن).

إن الاغتراب في الأدب العراقي الحديث ليس مجرد مرحلة عابرة، بل هو مدونة كبرى وثقت أوجاع الإنسان العراقي في صراعه مع التاريخ والجغرافيا. من قصائد السياب ونازك الملائكة التي بكت الوطن وهي بعيدة عنه، إلى الروايات التي شيدت وطناً بديلاً من الكلمات، يظل الأدب العراقي في جوهره "أدب منفي" يبحث عن الاستقرار. لقد نجح هؤلاء الأدباء في تحويل محنتهم الشخصية إلى إبداع إنساني، مؤكدين أن الوطن قد يضيع جغرافياً، لكنه يبقى خالداً في النصوص.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث، يتضح لنا أن الاغتراب لم يكن مجرد ظاهرة فنية عابرة او ترفا فكريا استورده الاديب العراقي من الفلسفات الغربية، بل كان استجابةً عضويةً وصرخةً وجوديةً في وجه التحولات العنيفة التي عصفت ببنية المجتمع العراقي. لقد طفنا في هذا البحث بين الدلالات اللغوية والاصطلاحية، وتتبعنا كيف تحول الاغتراب من مجرد دلالة على البعد المكاني الى مفهوم مركب يختزل مأساة الانسان المحاصر بين قمع الداخل وقسوة المنافي.

لقد اثبتت الدراسة ان النص الادبي العراقي – شعرا ونثرا – كان الوثيقة الاصدق تعبيرا عن الروح العراقية المغتربة، إذ تحولت الكلمات الى ملاذات آمنة، والقصائد إلى أوطان بديلة، في محاولة مستميتة لترميم الهوية المتشظية ومقاومة المحو والنسيان.

الاستنتاجات

١. يختلف الاغتراب في الأدب العراقي عن نظيره الغربي في دوافعه؛ في حين نشأ الاغتراب الغربي غالبا نتيجة للتقدم الصناعي وطغيان المادة (كما عند اليوت او ماركس)، فإن الاغتراب العراقي كان نتاجا لظروف قهرية (سياسية، حروب، حصار)، مما جعله اغترابا مفروضا لا مختارا، واغترابا جماعيا لا فرديا فحسب.

٢. كشفت الدراسة أن المنفى الداخلي كان أشد وطأة من المنفى الخارجي. فالشعور بالغربة داخل الوطن نتيجة الإقصاء السياسي أو التهميش الاجتماعي (كما ظهر في الرواية العراقية) يولد اغترابا مركبا يؤدي الى تدمير الذات أو اللجوء الى الصمت والموت الرمزي.

٣. سيطرة معجم الليل، والموت، والبرودة، والصمت على النصوص الادبية المدروسة، مما يعكس هيمنة النزعة التشاؤمية والرؤية المأساوية للوجود، إذ يرى الأديب المغترب أن الموت قد يكون الخلاص الوحيد من عبثية الواقع.

٤. تبين أن حضور المرأة في نصوص الاغتراب يتجاوز البعد العاطفي ليصبح رمزا للأرض والوطن؛ فالفشل في الحب غالبا ما يعادل ضياع الوطن، والبحث عنها هو بحث عن الانتماء والجذور.

٥. نستنتج أن الاغتراب في الأدب العراقي يختلف جذرياً عن الاغتراب في الأدب الغربي أو حتى العربي الآخر؛ فهو لم ينشأ نتيجة تأملات فلسفية وجودية (كالتي عند كافكا أو كامو) أو كتقليد لتيارات غربية، بل هو "منتج عضوي" واستجابة قسرية لواقع دموي. إنه اغتراب "مفروض" وليس "مختاراً"، ولّدته الحروب والحصار، مما جعله يتحول من شعور بالفردية إلى "حالة جماعية" وسمت جيلاً كاملاً.

٦. كشف البحث أن الأديب العراقي يحمل منفاه معه؛ فالاغتراب ليس مرتبطاً بالجغرافيا فقط. المبدع الذي عاش "المنفى الداخلي" (تحت وطأة القمع والخوف واللامعيارية) لم يتخلص من هذا الشعور بمجرد عبوره الحدود. بل إن "المنفى الخارجي" أصبح مجرد امتداد فيزيائي للشرخ النفسي الذي حدث في الداخل. وعليه، فإن المكان في النص الأدبي العراقي فقد حياديته وأصبح إما "سجناً" (الداخل) أو "متاهة" (الخارج).

٧. الاغتراب لم يؤثر فقط في ماذا يكتب الأديب العراقي، بل في كيف يكتب. لقد أدى تشظي الهوية والواقع إلى تشظي الشكل الفني؛ لذا نرى في الروايات والقصائد الحديثة تكسيراً للزمن، وتعددية في الأصوات، وغياباً للبطل التقليدي المتماسك لصالح "البطل الإشكالي" أو المهزوم. الشكل الفني المضطرب هو مرآة للذات المغتربة.

٨. أن الأدب العراقي رصد مرحلة خطيرة تحول فيها الإنسان بفعل الأنظمة الشمولية والحروب إلى "شيء" أو "رقم" أو "أداة"، فاقداً لفاعليته الإنسانية. هذا النوع من الاغتراب هو الأخطر لأنه يمس جوهر الكرامة البشرية ويفصل الإنسان عن ذاته قبل مجتمعه.

توصيات البحث :

١. يوصى البحث بعدم الاكتفاء بالدراسات الجمالية البحتة للنصوص العراقية، بل اعتماد مناهج "النقد الثقافي" و"علم الاجتماع الأدبي" لقراءة هذه النصوص كوثائق تاريخية واجتماعية تسجل تحولات الشخصية العراقية تحت الضغط، مما يفيد الباحثين في علم النفس والاجتماع وليس الأدب فقط.

٢. نظراً لأن جزءاً كبيراً من "الرواية العراقية المهاجرة" ونتاجات الشعراء في المنافي قد صدرت عن دور نشر صغيرة ومتفرقة في أوروبا وأمريكا، يوصى بإنشاء "ببيليوغرافيا وطنية رقمية" أو منصة موحدة تجمع هذا النتاج للحفاظ عليه من الضياع، وليكون متاحاً للدارسين داخل العراق الذين قد تفصلهم فجوة معرفية عن نتاج الخارج.

٣. يوصى بإجراء دراسات مقارنة تعيد قراءة نتاج الأدباء الذين لم يغادروا العراق (أدب الداخل) للبحث عن "الرموز الاغترابية" التي استخدموها للهروب من الرقابة. هذا سيكشف عن تقنيات فنية عالية المستوى (مثل الرمزية والأسطورة) لجأ إليها الكاتب ليعبر عن غربته وهو داخل بيته.

٤. تحديث مناهج الأدب في الجامعات العراقية لتشمل محوراً خاصاً عن "أدب الشتات العراقي ما بعد ١٩٩٠ و٢٠٠٣"، لردم الهوة بين الأجيال وتعريف الطلبة بأنماط الكتابة التي نشأت في بيئات ثقافية مغايرة، وكيف تعامل الأديب العراقي مع إشكالية الهوية المزدوجة.

٥. عقد دراسات مقارنة بين أدب المنفى العراقي وادب الشتات الفلسطيني، لرصد نقاط الالتقاء والاختلاف في تجربة الاقتلاع من الجذور وتجليات الحنين في كلا الأدبيين.

٦. تخصيص أبحاث مستقلة لدراسة الاغتراب في الأدب النسوي العراقي، للوقوف على خصوصية المعاناة لدى المرأة العراقية التي تعيش اغترابا مضاعفا (اغتراب اجتماعي كأنثى في مجتمع ذكوري، واغتراب وطني عام).

المراجع:

السعيد بخليلي. (٢٠٢٤). الاغتراب وبواعثه في الشعر الجزائري على العهد الحمادي. *مجلة التعليمية*، 161.

المحسن، فاطمة. (١٩٩٧). الرواية العراقية المهاجرة بين وطن ومنفى. *مجلة ابواب*، 148.

توفيق قحام. (٢٠٢٤). شعرية الاغتراب لدى بن الشاطئ. *المجلة التعليمية*، 165.

حمدان، يوسف حسين ، والفتياني ، سهيل. (٢٠٢٢). تجليات الاعرتاب في شعر علي طه النوباني. *مجلة جرش للبحوث والدراسات*، 6123.

ساجدة عبد الكريم التميمي. (٢٠١٦). *الاغتراب في شعر نازك الملائكة*. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.

عمار يوسف عبد الحسن، و نشات جعفر عبد الحسن. (٢٠٢٤). الاغتراب في روايات علي الحديثي. *الدراسات المستدامة* ، 1360.

لطيفة خمان. (٢٠٢٥). الاغتراب في مسرحية وسم الغياب للكاتب المسرحي المصري ابراهيم الحسيني. *مجلة الف : اللغة والاعلام والمجتمع*، 329.

مسلم ، صبري. (١٩٨٨). البطل المغترب في الرواية العراقية. *مجلة اقلام*، 113.

نبيلة عبدو، و جميلة وحابي. (٢٠١٣). الاغتراب في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب انموذجا . *جامعة اكي محند اولحاج– البويرة*، 7.

References:

Al-Saeed Bakhili. (2024). Alienation and its Motives in Algerian Poetry during the Hammadid Era. Al-Ta'leemiyah Journal, 161.

Al-Muhsin, Fatima. (1997). The Iraqi Immigrant Novel: Between Homeland and Exile. Abwab Journal, 148.

Tawfiq Qahham. (2024). The Poetics of Alienation in Ibn al-Shati's Poetry. Al-Ta'leemiyah Journal, 165.

Hamdan, Yousef Hussein, and Al-Fityani, Suhail. (2022). Manifestations of Alienation in the Poetry of Ali Taha al-Nubani. Jerash Journal for Research and Studies, 6123.

Sajida Abdul Karim al-Tamimi. (2016). Alienation in the Poetry of Nazik al-Mala'ika. Amman: Ghayda Publishing and Distribution House.

Ammar Yousef Abdul Hassan and Nashat Jaafar Abdul Hassan. (2024). Alienation in the Novels of Ali al-Hadithi. Al-Dirasat al-Mustadima, 1360.

Latifa Khuman. (2025). Alienation in the play "The Mark of Absence" by the Egyptian playwright Ibrahim al-Husseini. Alif Journal: Language, Media, and Society, 329.

Muslim, Sabri. (1988). The Alienated Hero in the Iraqi Novel. Aqlam Journal, 113.

Nabila Abdo, Jamila, and Habi. (2013). Alienation in Contemporary Arabic Poetry: Badr Shakir al-Sayyab as a Model. University of Akki Mohand Oulhadj - Bouira, 7.